

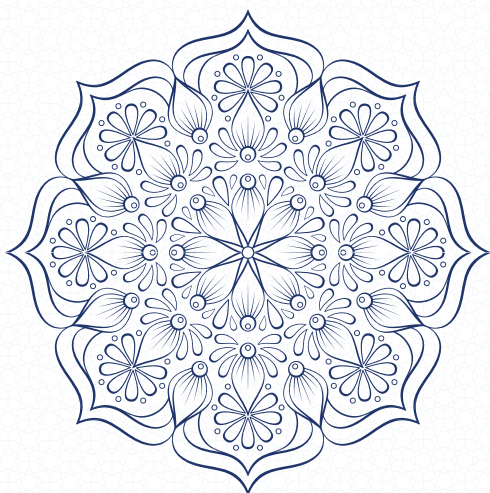
شرح منظومة

لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ - رحمه الله

لفضيلة الشيخ:

أ. د. أحمد بن حمد الوئيس





شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

برنامج دليل ١٤٤٦هـ

المجلس الأول^(١)

إن الحمد لله .. أما بعد:

فهذه مقدمتان بين يدي الشرح:

المقدمة الأولى: التعريف بالمؤلف^(٢):

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام وعلم الأعلام.

ولد في العاشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة بحران.

وقدم به والده وبإخوته إلى دمشق، عند استيلاء التتر على البلاد، سنة سبع وستين وستمائة.

(١) تنبيه: هذا الشرح مستفاد من بعض شروح هذه الرسالة لأهل العلم جزاهم الله خيراً، ومن مراجع أخرى، ولم يُراعَ فيه التوثيق العلمي؛ لأن الغرض ابتداءً لم يكن لنشر هذا الشرح، وإنما تم إخراجه بهذه الصورة للتيسير على طلاب العلم في برنامج دليل، والله الموفق.

(٢) ينظر في ترجمته: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٤/ ٤٩١ - ٥٢٩، والبداية والنهاية لابن كثير ١٨/ ٢٩٥.

وأخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم والده عبد الحليم وابن أبي عمر شارح المقنع، وابن عبد القوي المعروف بالناظم وغيرهم كثير.

واشتغل بالعلم منذ صغره، وتأهل للفتوى والتدريس، وله دون العشرين سنة. وأمدّه الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبطء النسيان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه.

ولما توفي والده الشيخ شهاب الدين، كان له حينئذ إحدى وعشرين سنة، فقام بوظائفه بعده، فدرّس بدار الحديث السكرية في أول سنة ثلاث وثمانين وستمئة.

وجلس مكان والده بالجامع أيام الجمع، لتفسير القرآن العظيم، وشرع من أول القرآن. فكان يفسر القرآن من حفظه.

وشرع الشيخ في الجمع والتصنيف من دون العشرين، ولم يزل في علو وازدياد من العلم والقدر إلى آخر عمره.

ونقل ابن رجب عن الذهبي في معجم شيوخته، في ترجمة شيخ الإسلام أنه قال: .. وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت: إني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه.

ونقل ابن رجب عن كمال الدين بن الزمكاني أنه قال عن ابن تيمية: «كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذاك الفن، وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله. وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا منه في مذهبهم أشياء، ولا يُعرف أنه ناظر أحدا فانقطع منه، ولا تكلم في علم من العلوم - سواء كان من علوم الشرع أو غيرها - إلا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها».

ونقل ابن رجب عن العلامة ابن القيم قال: سمعت شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، ونور ضريحه، يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. قال: وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي، لا تفارقني، أنا حبسي خلوة. وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه. ولما دَخَلَ إِلَى القلعة، وصار داخل سورها نظرَ إِلَيْهِ وَقَالَ: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بَابٌ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]. وَأَمَّا تصانيفه رَحِمَهُ اللهُ: فَهِيَ أشهر من أن تذكر، سارت مسير الشمس في الأقطار، قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها.

منها: كتاب: الإيمان، والاستقامة، وجواب الاعتراضات المصرية على الفتاوى الحموية، وتلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ومنهاج السنة النبوية، ودرء تعارض العقل والنقل،

والصارم المسلول على شاتم الرسول، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام، وغيرها كثير.

توفي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى سجيناً في قلعة دمشق، في سحر ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

تنبيه:

جاء في البداية والنهاية ١٨ / ٢٩٦ في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقله ابن كثير عن البرزالي في تاريخه: (وجلس جماعة عنده قبل الغسل، وقرأوا القرآن، وتبركوا برويته وتقبيله، ثم انصرفوا... ثم صلي عليه بجامع

دمشق عقيب صلاة الظهر، وحمل من باب البريد، واشتد الزحام، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك... وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية الصدر الذي غسل به، وقيل: إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم...

وما ذكر في هذا الكلام من التبرك بذوات الصالحين، وهو من التبرك الممنوع شرعاً.

المقدمة الثانية: التعريف بالمنظومة:

هذه المنظومة في بيان عقيدة السلف الصالح، وهي من بحر الكامل. وسميت اللامية؛ لأن قافيتها حرف اللام، فكل بيت منها ينتهي بحرف اللام. وليس هناك جزم بأنها من نظم شيخ الإسلام، ولكن هناك قرائن تدل على أنها له رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فالظن الغالب أنها من نظمه، ويدل لذلك أمور^(١):

١ - أن جماعة من أهل العلم قد نسبوا هذه المنظومة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، منهم:

- نعمان الألوسي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص ٧٣.

- الشيخ محمد بن مانع رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (ت: ١٣٨٥ هـ) في كتابه القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد ص ١٩، إذ قال: (قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى نظماً في اعتقاد الأئمة الأربعة، وهو اعتقاده مجيباً من سأل عن ذلك، فقال قدس الله سره: يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي...) ثم ذكرها.

- الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، في التنبيهات السنية على

(١) ينظر: مجلة الحكمة العدد ١٤، ص ٣١٧، وتحقيق خالد الحيان للامية شيخ الإسلام.

العقيدة الواسطية ص ١٢٧، إذ قال: (قال الشيخ تقي الدين **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي لَامِيَتِهِ** المشهورة:

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ وَرَاءَهُ وَإِذَا اسْتَدَلَ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ).

- الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي في كتابه عقيدة المسلمين ١ / ٤٠٧، إذ قال: (قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** نظماً في اعتقاد الأئمة الأربعة، وهو اعتقاده مجيباً من سألته عن ذلك: يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي ...) ثم ذكرها.

- الشيخ عبد العزيز بن محمد السلطان **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** في مجموعة القصائد الزهديات ٢ / ٤٢٦، إذ قال: (من مَأْنَسَبَ إِلَى شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي ...).

- الشيخ د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** في كتابه: الصحيح من النظم الفصيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٥، فقد ذكر هذه المنظومة كاملة ونسبها لشيخ الإسلام.

٢- أن النسخ الخطية التي وُجد فيها هذا النظم تُعْنَوْنَ بنسبة المنظومة لشيخ الإسلام.

٣- أن هذه المنظومة لم تنسب لغير شيخ الإسلام.

٤- أن ما تضمنته من تقرير الاعتقاد موافق لاعتقاد السلف الذي دعا إليه شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**.

وإنما لم يُقْطَع بكون هذه المنظومة من نظمه **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** لأنه لم ينسبها إليه أحد من تلاميذه ومعاصريه.

لكن مع هذا فإن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى كان كثير التأليف، تصعب الإحاطة بجميع مؤلفاته، وبعض هذه المؤلفات إنما هي جواب سؤال لمن يسأله. فاحتمال أن يكون نظم هذه القصيدة ولم تنتشر عند تلاميذه ومعاصريه كغيرها من أجوبته وتأليفه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

قال ابن رجب في ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة عند ذكره لمؤلفات شيخ الإسلام: (وَأَمَّا القواعد المتوسطة والصغار وأجوبة الفتاوى فلا يمكن الإحاطة بِهَا، لكثرتها وانتشارها وتفرقها).

وأيًا كان فهي منظومة مفيدة في الاعتقاد على مذهب السلف، يغلب على الظن أنها لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، والله أعلم. من شروحها:

اللائي البهية شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، لأحمد بن عبد الله المرداوي الحنبلي، كان حيًّا سنة ١٢٦٣ هـ. وهو شرح مطبوع. وقال في المقدمة ص ٣: (لما وقفت على أبيات عديدة جامعة للمسائل المتفق عليها عند السلف، مفيدة حاوية لأمّهات مسائل الاعتقاد، تنسب لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وكنت منذ زمن أطلب لها شرحا جامعًا، لأكون خلفه تابعا فلم أجد شيئًا من ذلك)

والمؤلف لم يوقف له على ترجمة، والمرداوي نسبة إلى مردا، قرية قرب نابلس في فلسطين، وهي قرية خرج منها علماء كثيرون. وشرحه هذا مفيد، لكن انتقد عليه فيه أشياء.

وعليه تعليقات للشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله تعالى. أما المعاصرون فشرحها جماعة منهم بشروح مطبوعة ومسموعة.

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي رُزق الهدى من الهداية يسأل

(يا سائلي) يا من يسألني سؤالاً يطلب به الهدى.

(عن مذهبي وعقيدتي) المذهب هو: ما قاله المجتهد بدليل، ومات قائلاً به. وهذا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية في المسوِّدة ١/ ٥٣٣.

والمراد بقوله هنا: (مذهبي) أي المذهب العقدي، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، لأن هذا النظم في الاعتقاد، لا في الفقه، ولقرينة قوله: (وعقيدتي) أي ما اعتقد من أصول الدين، التي دل عليها الكتاب والسنة، على فهم سلف الأمة.

والعقيدة: ما يعقد عليه القلب، ويجزم به، من غير شك^(١).

وظاهر هذا البيت أن شيخ الإسلام سأل سائل عن عقيدته فأجابه بهذه الأبيات، وهذا يرد كثيراً، فقد يُسأل العالم عن اعتقاده فيجيب برسالة يبين فيها ما يعتقده مما عليه السلف، ثم تنتشر ويتنفع بها الناس.

(رُزق الهدى من الهداية يسأل) هذا دعاء من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لمن يسأل سؤال هداية واسترشاد فغرضه من السؤال العلم، وحصول الفائدة له، فدعا له الشيخ أن يرزقه الله الهدى، أي الهداية، والهداية على قسمين: هداية دلالة وإرشاد، وهي العلم النافع، وهداية توفيق وإلهام، وهي العمل الصالح.

(١) قال البعلي في المطلع ص ٤٩٩: (الاعتقاد: من أفعال القلوب، وهو «افتعال» من عقد القلب على الشيء: إذا لم يزل عنه، وأصل العقد: ربط الشيء بالشيء، فالاعتقاد: ارتباط القلب بما انطوى عليه ولزمه).

قال الناظم:

اسمع كلام محقق في قوله لا ينشئ عنه ولا يتبدل

هذا فيه أمر للسائل وتنبيه له بأن يسمع ما سيرد عليه في هذه المنظومة من كلام محقق، والمحقق هو الذي يثبت المسألة بدليلها^(١). ولا شك أن هذه المنظومة فيها تحقيق لعقيدة السلف الصالح في المسائل التي ذكرها رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وأدلتها من الكتاب والسنة ظاهرة.

وما كان كذلك فإن يقرن لا شك فيه، ولا تردد.

(لا ينشئ عنه) أي لا يرجع عنه قائله (ولا يتبدل) أي ولا يبدله بغيره، بل هو ثابت عليه، كيف لا، وهو اعتقاد السلف الصالح، وما أجمع عليه أهل السنة والجماعة.

وفي نسخة: (ولا يتحوّل) والمعنى لا يختلف.

قال الناظم:

حُبُّ الصحابة كلهم لي مذهبٌ ومودة القربى بها أتوسل

الصحابة جمع صحابي، والصحابي عرّفه الحافظ ابن حجر رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى في مقدمة الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ١٥٨ بقوله: (وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام)

ومعنى البيت أن حُبَّ جميع الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مما أذهب إليه وأعتقده، وذلك لدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك، فأهل السنة والجماعة يحبون ويوالون جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لما لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من القدر

(١) التحقيق: إثبات المسألة بدليلها. ينظر: حاشية الروض لابن قاسم ١ / ٩.

العظيم، والمكانة العالية، أثنى الله جل وعلا عليهم في كتابة العزيز، ورضي عنهم، وتاب عليهم، ووعدهم الحسنی، فقال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

والقرن الذي عاش فيه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، خير قرون هذه الأمة على الإطلاق، فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» متفق عليه. وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون عن دينه) رواه الإمام أحمد^(١).

ولرفعة قدر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومكانتهم وسابقتهم، فقد نهى النبي ﷺ عن سبهم والقدح فيهم، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» متفق عليه. فأعمالهم وإن قلت، أعظم أجراً عند الله تعالى، من أعمال غيرهم مهما عظمت، وما ذاك إلا لكمال إيمانهم وتصديقهم، يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة مع النبي ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة) رواه ابن أبي عاصم في السنة^(٢).

(١) قال الألباني في تحقيق الطحاوية ص ٤٧٠: حسن موقوفاً.

(٢) وقال الألباني في ظلال الجنة ص: صحيح.

وقد ورد الوعيد الشديد، فيمن يسب أصحاب رسول الله ﷺ، بأن يطرده الله تعالى من رحمته، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «لعن الله من لعن أصحابي» رواه الترمذي.

والطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وانتقاصهم وغيبهم من علامات أهل البدع، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (من انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبغضه لحدث كان منه، أو ذكر مساوئه كان مبتدعاً، حتى يترحم عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً).

كما أن أهل السنة والجماعة يكفون عما جرى بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الفتن، ولا يلوكون ألسنتهم بذكر شيء من ذلك، وإنما ينشرون محاسنهم، ويذيعون بين الناس فضائلهم، قال العوام بن حوشب^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ، تأتلف عليهم القلوب).

وإنما نهى السلف الصالح عن الخوض فيما جرى بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لأن ذلك ذريعة إلى القدح والطعن في بعضهم، وقد ابتلينا في هذا الزمان، بمن يقص على الناس ما جرى بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الحروب والفتن، وينشرون ذلك عبر الوسائل المختلفة، ونشر ذلك بين الناس والاستماع إليه مخالف لاعتقاد السلف الصالح.

(ومودة القربى) أي محبة قرابة النبي ﷺ (بها أتوسل) أي بهذه المحبة لآل بيت النبي ﷺ أتقرب إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ معنى ذلك أن تودوني في قرابتي، أي: تحسنوا

(١) وصفه الذهبي بالإمام المحدث، روى عن مجاهد والنخعي، وذكره أحمد فقال: ثقة ثقة. توفي سنة ١٤٨ هـ. انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٥٤).

إليهم وتبروهم. وهذا أحد الأقوال في تفسير الآية، قال به سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (١).

وعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيئًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا (٢) بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ (٣): أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» ... رواه البخاري ٣٧١٢.

وقال عمر للعباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (فو الله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٧٢٦٤، وصححه الألباني في الصحيحة ٣٣٤١ بطرقه وشواهده.

قال ابن كثير في تفسيره ٢٠٢/٧ بعد ذكر هذين الأثرين عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (فحال الشيخين، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك؛ ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وعن سائر الصحابة أجمعين).

(١) ينظر الأقوال في تفسير الآية في تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

(٢) قال النووي في شرح مسلم ١٧٩/١٥: (هو بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم وهو اسم لغیضة على ثلاثة أميال من الحسنة عندها غدير مشهور يضاف إلى الغیضة فيقال غدير خم).

(٣) قال النووي في شرح مسلم ١٨٠/١٥: (سميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما وقيل لثقل العمل بهما).

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ» رواه البخاري ٣٧١٣.

ومعنى: (ارقبوا محمدا) احفظوه (في أهل بيته) فلا تسبوهم ولا تؤذوهم. ويدخل في آل النبي ﷺ أزواجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ٦/ ٤١٠: (وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح).

ثم قال (الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فإن سياق الكلام معهن)

وإذا كانت محبة آل بيت النبي ﷺ مشروعة ومأمور بها، كانت محبتهم عبادة يتوسل بها المرء إلى ربه، أي يتقرب بها إلى ربه جل وعلا، ويشرع أن يتوسل بها في دعائه، فيقول مثلاً: اللهم بمحبتني لصحابة نبيك ﷺ وآل بيته أعطني كذا. فهذا من التوسل المشروع، ودل عليه حديث الثلاثة أصحاب الغار، الذين توسل كل واحد منهم في دعائه بعمل صالح عمله خالصاً لوجه الله تعالى.

أما التوسل الممنوع فمنه التوسل بذوات الصالحين أو جاههم أو حقهم، كقول بعضهم: اللهم إني أتوسل إليك بفلان، أو بجاه فلان، أو بحق فلان، فكل هذا من التوسل الممنوع، الذي يعد من البدع؛ لعدم الدليل عليه.

ولشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رسالة في التوسل، وهي قاعدة جلية في التوسل والوسيلة.

وفي قوله: (حب الصحابة كلهم لي مذهب) هذا رد على الرافضة الذي يبغيضون أكثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويسبونهم ويلعنونهم، ويرون أنهم قد ارتدوا عن الإسلام إلا نفراً قليلاً منهم.

وفي قوله: (ومودة القربى بها أتوسل) رد على النواصب الذين يبغيضون آل البيت ويعادونهم.

فأهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء وهؤلاء، فهم يحبون جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويحبون آل البيت، ولا يغفلون في أحد منهم، ولا يرفعونه فوق منزلته، ولا ينتقصون أحداً منهم.

قال الناظم:

ولكلهم قدرٌ علا وفضائلُ لكنما الصديقُ منهم أفضلُ

في بعض النسخ: (ولكلهم قدر وفضل ساطع) والمعنى واحد.

فالصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم فضل عظيم، كما تقدم ذلك، ولكن أفضلهم الصحابي الجليل والصديق الأكبر، أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

اسمه عبد الله بن عثمان، وكنيته أبو بكر، وكنية أبيه أبو قحافة، ولقب بالصديق والعتيق، كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً نحيفاً خفيف اللحم أبيض يخضب لحيته بالحناء والكتم، وكان تاجراً يسافر في تجارته إلى الشام، وكانت التجارة أشرف مكاسب قريش.

وسبب تسميته بالصديق ما روته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَمِعُوا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوْ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أَصْدَقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقَ. رواه الحاكم ٤٤٠٧، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة ٣٠٦.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يَكْفِيهِهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ» رواه الترمذي ٣٦٦١، وصححه الألباني.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «هَذَانِ سَيِّدَا كُھُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ» رواه الترمذي ٣٦٦٤، وصححه الألباني.

وأجمع العلماء على أن قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى، الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ نزلت في أبي بكر.

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يخطب على المنبر: (أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، عُمَرُ) رواه الإمام أحمد ٨٣٥، ٨٣٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

قال الذهبي بعد هذا الأثر: (وهذا متواترٌ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَبَّحَ اللَّهُ الرافضة)^(١)

قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية ٢ / ٣١٥: (وقد أجمع المسلمون أن المراد بقوله تعالى: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] أن صاحب المذكور هو أبو بكر).

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ السَّلَفُ يُعَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَمَا يُعَلِّمُونَ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ. رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم ٢٣٢٥.

توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وعمره ثلاث وستون سنة، وغسلته زوجته أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بوصية منه، وصلى عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال.

ثم بعده في الفضل عمر ثم عثمان ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين^(١)،

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ» رواه الترمذي ٣٧٤٧، وصححه الألباني.

ثم بعد العشرة في الفضل أهل بدر، لقول النبي ﷺ فيهم: «وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ثم

(١) ينظر للفائدة: الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ت: ٦٩٤ هـ.

بعدهم في الفضل الذين بايعوا تحت الشجرة، لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وقال النبي ﷺ: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» رواه مسلم.

قال الناظم:

وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو الكريم المنزل

أي وأقول معتقدا في مسألة القرآن العظيم ما ورد في الآيات أنه كلام الله عزَّ وجلَّ المنزل على نبيه محمد ﷺ، نزل به جبريل عليه السلام بعدما سمعه من الله جلَّ جلاله بصوت وحرف، ثم سمعه محمد ﷺ من جبريل عليه السلام، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة في القرآن العظيم. وكلام الله جل وعلا عند أهل السنة والجماعة قديم النوع حادث الآحاد.

ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن، ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه أي: الكلام المعين المخصوص حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء^(١).

وقد دل على إنزال القرآن الكريم عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ وروح القدس هو جبريل عليه السلام، وإذا كان روح القدس عليه السلام نزل بالقرآن من الله تعالى، علم أنه سمعه من الله عزَّ وجلَّ.

وأخبر سبحانه أن يُسمع ويُقرأ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

(١) شرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين ص ٧٤.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَام ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ وفي وصف جبريل عَلَيْهِ السَّلَام بالأمين دلالة على أنه مؤتمن على ما أرسل به، لا يزيد فيه ولا ينقص.

فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله يتكلم بحرف وصوت، كما جاء في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا م حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» رواه الترمذي ٢٩١٠، وصححه الألباني.

ولفظ الصوت صحت به الأحاديث، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلْسَّمَاءِ صَلَصلةً كَجَرِّ السَّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقُّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقُّ، الْحَقُّ» رواه أبو داود ٤٧٣٨، وصححه الألباني.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣ / ٤٥٨: (وَيَلْزَمُ مِنْهُ) أي من نفي الصوت (أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُسْمَعْ أَحَدًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ كَلَامَهُ بَلْ أَلْهَمَهُمْ إِيَّاهُ ... وَإِذَا ثَبَتَ ذِكْرُ الصَّوْتِ بِهِذِهِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ ...).

وفي بعض النسخ: (فهو القديم)^(١)

والأليق بمذهب شيخ الإسلام لفظ: (الكريم) وإن كان لفظ (القديم) يحمل على قدم النوع.

وفي بعض النسخ: (فهو الحكيم) وهذا لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ

الْحَكِيمِ﴾

(١) وفي النسخة التي ذكرها الشيخ البليهي: (فهو الحكيم).

قال الناظم:

وأقول قال الله جلَّ جلالهٗ والمصطفى الهادي ولا أتأول^(١)

أي وأقول في صفات الله عزَّ وجلَّ ما قال الله تعالى وما قال رسوله ﷺ،
فأثبتها لله عزَّ وجلَّ على ما يليق بجلاله وعظمته، ولا أتأولها.

كقول الله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ وقوله سبحانه: ﴿أَأْمِنتُمْ مَنْ فِي
السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ
لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ وقوله جل وعلا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وغيرها.

ومن أقوال الرسول ﷺ في الصفات حديث: «يُنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى
كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي
فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» رواه البخاري
١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

وحديث: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ
وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» رواه مسلم ٢٦٥٤.

وحديث: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ
مَنْ فِي السَّمَاءِ» رواه الترمذي ١٩٢٤، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
وصححه الألباني.

فهذه الآيات والأحاديث الواردة في صفات الله تعالى نثبت ظاهرها لله
عزَّ وجلَّ على ما يليق به سبحانه، مع العلم بمعانيها، فلا نفوض المعنى، بل
معاني الصفات معلومة في اللغة، ولهذا قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لما سئل:

(١) هذا البيت سقط من القصيدة في بعض النسخ.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ قال: الاستواء معلوم...، أي معلوم المعنى، وإنما التفويض يكون للكيفية، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وأسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، يوقف فيها على ما في القرآن والسنة فلا يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله ﷺ، ولا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ، وهذه قاعدة من قواعد الأسماء والصفات، فلا يزداد في الأسماء والصفات ولا ينقص منها، وإنما يوقف فيها على النصوص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يسحقه تعالى من الأسماء والصفات، فوجب الوقوف في ذلك على النص، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ولأن تسمية الله تعالى أو وصفه بما لم يسم به أو يصف به نفسه جناية في حقه سبحانه فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص^(١).

وقوله: (والمصطفى الهادي) المصطفى من أسماء النبي ﷺ، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري ٦/ ٥٥٨ قال: (ومن أسمائه المشهورة المختار والمصطفى والشفيع المشفع والصادق المصدوق وغير ذلك).

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» رواه مسلم ٢٢٧٦.

(١) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين ص ١٦.

والهادي من أسمائه، كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٥٥٧/٦:
(ومما وقع من أسمائه في القرآن بالاتفاق الشاهد المبشّر النذير المبين الداعي
إلى الله السراج المنير وفيه أيضا المذكر والرحمة والنعمة والهادي والشهيد
والأمين والمزمل والمدثر).

والهادي أي الذي يهدي غيره، والمراد هداية الدلالة والإرشاد، قال الله
تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي تدل وترشد.

أما هداية التوفيق فليست إلا لله وحده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ
أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

وقوله: (ولا تأول) أي لا أصرف ألفاظ النصوص عن المعنى الظاهر
المتبادر منها إلى معنى آخر مرجوح، من غير دليل يدل عليه، فهذا هو التأويل
الذي ذمه السلف.

وأهل البدع في باب الأسماء والصفات على أقسام: فمنهم من ينفي
الأسماء والصفات، وهم الجهمية، ومنهم ما يثبت الأسماء وينفي جميع
الصفات، وهم المعتزلة، ومنهم من يثبت الأسماء ويثبت بعض الصفات،
وينفي ما عداها كالأشعرية، فإنهم يثبتون لله تعالى سبع صفات فقط^(١).

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى الصفات من غير تحريف ولا
تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل.

وتحريف الكلام: أي تغييره، وهو إما أن يكون في اللفظ أو في المعنى.
والغالب في باب الصفات أن التحريف يكون في المعنى، وهو أحد معاني

(١) وهي التي ذكرها السفاريني في الدرة المضية: (له الحياة والكلام والبصر ... سمع إرادة
وعلم واقتدر).

التأويل، وهو صرف اللفظ عن المعنى الظاهر المتبادر منه إلى معنى آخر مرجوح، من غير دليل يدل عليه.

وهذا هو التأويل المذموم، وهو تحريف، فإن وجد دليل معتبر يدل على التأويل فهو تأويل محمود.

مثال التأويل المذموم قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]: ظاهر اللفظ أن الله تعالى استوى على العرش: استقر عليه، وعلا عليه، وأهل البدع يقولون: معنى ﴿اسْتَوَى﴾: استولى على العرش. وهذا منهم تأويل، حيث صرفوا اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر مرجوح بلا دليل، وحقيقته أنه تحريف للكلام.

ومثال التأويل المحمود قوله تعالى ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، فمعنى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾، أي سيأتي أمر الله، فهذا مخالف لظاهر اللفظ لكن عليه دليل وهو قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

والمراد بالتعطيل هنا نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذاته تعالى، فينكر المعطل أن يكون لله تعالى يد، وينكر أن يكون له سمع، وهكذا، من غير أن يؤول الصفة إلى معنى آخر.

والتكييف للصفات أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا.

ومذهب السلف تفويض كيفية الصفات، فالله أعلم بكيفية صفاته، لأنه سبحانه أخبرنا بالصفات، ولم يخبرنا بكيفيتها.

وأما تفويض معنى الصفات فليس مذهب السلف، بل هو مذهب أهل البدع، وهم أهل التفويض، أي تفويض المعنى.

ومن الخطأ القول بأن التفويض هو مذهب السلف؛ كما نسب ذلك إليهم

المتأخرون من الأشاعرة وغيرهم، فإن السلف لم يكونوا يفوضون في علم المعنى، ولا كانوا يقرؤون كلاماً لا يفهمون معناه؛ بل كانوا يفهمون معاني النصوص من الكتاب والسنة، ويثبتونها لله عَزَّوَجَلَّ، ثم يفوضون كيفية الصفات وعن جعفر بن عبد الله، قال: «جاء رجل إلى مالك بن أنس، فقال: يا أبا عبد الله ﷺ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿طه: ٥﴾ كَيْفَ اسْتَوَى قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ مَالِكًا وَجَدَ مِنْ شَيْءٍ كَمَوْجِدَتِهِ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَعَلَاهُ الرَّحَضَاءُ، يَعْنِي الْعَرَقَ قَالَ: وَأَطْرَقَ الْقَوْمُ، وَجَعَلُوا يَنْتَظِرُونَ مَا يَأْتِي مِنْهُ فِيهِ، قَالَ: فَسُرِّي عَنْ مَالِكٍ، فَقَالَ: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالْإِسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْإِيْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا، وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ^(١).

وأما التمثيل؛ فهو اعتقاد أن صفات الخالق جل وعلا مثل صفات المخلوقين، كمن يقول: إن يد الخالق جل وعلا كيد المخلوق، ونزوله كنزول المخلوق، وهكذا، تعالى الله عن ذلك علواً عظيماً.

وليس المراد من قول السلف في الصفات أنها تثبت من غير تكييف أنهم ينفون الكيف مطلقاً؛ فإن كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف؛ إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه.

قال الناظم:

وجميع آيات الصفات أمرها حقاً كما نقل الطراز الأول

اشتهر عن السلف في آيات الصفات قولهم: «أمرؤها كما جاءت بلا كيف». فأهل السنة والجماعة يؤمنون بما دلت عليه آيات الصفات وأحاديث الصفات من إثبات الصفة لله عَزَّوَجَلَّ حقيقة، مع الإيمان بما لها من المعاني

(١) رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٤٤١.

المعروفة في لغة العرب، لكن بلا تكييف للصفة، بل يفوضون الكيفية، يقولون: الله أعلم بكيفية الصفة، أما المعنى فهو معلوم، فمثلاً: قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ يثبتون لله تعالى صفة الإتيان، على ما يليق به سبحانه، لكن لا يعلمون كيفية الإتيان، أما معنى الإتيان في لغة العرب فهو معروف.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ سَدَّاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ اليد معلوم معناها في اللغة، فثبت أهل السنة والجماعة صفة اليد لله عزَّ وجلَّ على ما يليق بجلاله وعظمته، لكن لا يعلمون كيفية اليد.

وهذا الإثبات للصفات عند أهل السنة من غير تشبيه بصفات المخلوق، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

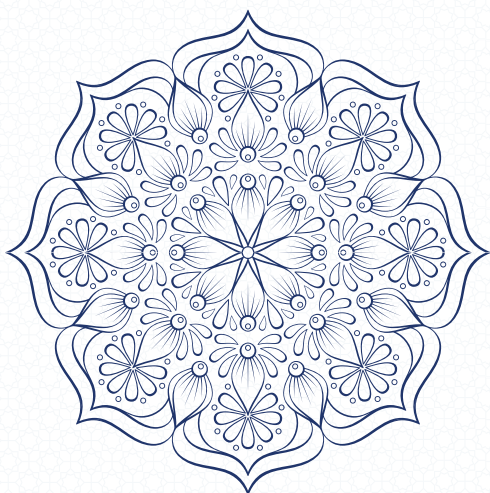
فأهل السنة والجماعة يَمرون آيات الصفات حقاً كما نقل الطراز الأول، وهم سلف هذه الأمة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وتابعيهم بإحسان، ومنهم الأئمة الأربعة وأئمة الهدى من أصحاب الكتب الستة وغيرهم رحمهم الله تعالى.

قال الناظم:

وأردُّ عهدها إلى نقَّالها وأصونها عن كل ما يُتخيل

أي أرد العهدة في نقل هذه النصوص المتضمنة للصفات إلى مَنْ نقلها من الثقات الأثبات، وأحميها عن كل ما يُتخيل بالبال، أو يخطر بالخيال من تكيفها، فما يَرِد بالبال أن صفات الله تعالى على كيفية كذا فالله جَلَّ جَلَّالُهُ على خلاف ذلك.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.





شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

برنامج دليل ١٤٤٦هـ

المجلس الثاني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه
أجمعين، أما بعد:

فيقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

قُبْحًا^(١) لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ وَرَاءَهُ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ

أي قَبَحَ الله من ينبذ كتاب الله تعالى وراءه، ولا يحتج به، وإذا استدل على
هذه المسائل العظام، ومنها صفات الله تعالى يستدل بقول الأخطل.

والأخطل هو غياث بن غوث التغلبي النصراني، شاعر زمانه، فاق أقرانه في
الشعر، توفي سنة ٩٢هـ^(٢).

قال ابن كثير في البداية والنهاية ٩ / ٢٩٠: (وَكَانَ الْأَخْطَلُ مِنْ نَصَارَى
الْعَرَبِ الْمُتَنَصِّرَةِ، قَبَحَهُ اللهُ وَأَبْعَدَ مَثْوَاهُ، وَهُوَ الَّذِي أَنْشَدَ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

قَدْ اسْتَوَى بِشُرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سِيفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقِ

(١) قبحاً: مفعول مطلق، حذف عامله، وفي بعض النسخ: (قبَحْ).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٨٩، والبداية والنهاية ١٢ / ٤٣٨.

وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً.

فإنه إنما يقال استوى على الشيء إذ كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه، كاستيلاء بشر على العراق، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه، وعرش الرب لم يكن ممتنعاً عليه نفساً واحداً، حتى يقال استوى عليه، أو معنى الاستواء الاستيلاء، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية، حتى أدامهم الإفلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٤٦/٥: (لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى؛ إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته، فكيف بيت من الشعر لا يعرف إسناده، وقد طعن فيه أئمة اللغة؛ وذكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفر في كتابه «الإفصاح» قال: سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: هذا ما لا تعرفه العرب؛ ولا هو جائز في لغتها. وهو إمام في اللغة على ما عُرف من حاله، فحينئذ حمله على ما لا يعرف حمل باطل).

وأيضاً احتج أهل البدع بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فاستدل به الأشاعرة على أن كلام الله تعالى هو الكلام النفسي، أي الكلام الذي يكون في النفس، أما القرآن الذي نتلوه، والذي بين دفتي المصحف فهو عندهم مخلوق، فوافقوا المعتزلة في أنه مخلوق، تعالى الله عن ذلك علواً عظيماً.

والعجب من هؤلاء يتركون النصوص الصريحة الكثيرة الدالة على أن القرآن كلام منزل غير مخلوق، ثم يحتجون بكلام شاعر نصراني على هذه المسألة العظيمة من مسائل الاعتقاد، مع أنهم لا يرون الاحتجاج بحديث الآحاد في العقائد، ولو كان مخرجاً في الصحيحين البخاري ومسلم، ولا شك أن هذا من التناقض، ومن اتباع الهوى، نسأل الله تعالى العافية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٦/ ٢٩٦: (ولهذا كان مما يشنع به على هؤلاء أنهم احتجوا في أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام - كلام الله وكلام جميع الخلق - بقول شاعر نصراني يقال له الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وقد قال طائفة: إن هذا ليس من شعره وبتقدير أن يكون من شعره فالحقائق العقلية أو مسمى لفظ الكلام الذي يتكلم به جميع بني آدم لا يرجع فيه إلى قول ألف شاعر فاضل دع أن يكون شاعراً نصرانياً اسمه الأخطل، والنصارى قد عُرِفَ أنهم يتكلمون في كلمة الله بما هو باطل والخطأ في اللغة هو الخطأ في الكلام وقد أنشد فيهم المنشد:

قبحا لمن نبذ القرآن وراءه فإذا استدل يقول قال الأخطل).

قال الناظم:

والمؤمنون يرون حقاً ربهم وإلى السماء بغير كيف ينزل

في هذا البيت مسألتان من مسائل العقيدة:

المسألة الأولى: رؤية الله تعالى:

فالمؤمنون بالله عَزَّجَلَّ يرون الله تعالى يوم القيامة في الجنة رؤية حقيقية لا مجازاً، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، أن الله تعالى يُرى يوم القيامة في الجنة، يراه المؤمنون، وهو أعظم نعيم أهل الجنة، وهذا متفق عليه بين السلف، ودلت عليه النصوص من الكتاب والسنة، وإنما أنكرها طوائف من أهل البدع، كالجهمية والمعتزلة، والرافضة والإباضية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في بيان تلبس الجهمية ٣٩٢ / ٢:
(قد أثبت بالسنة المتواترة وباتفاق سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة أهل الإسلام الذين اتتموا بهم في دينهم أن الله سبحانه وتعالى يُرى في الدار الآخرة بالأبصار عياناً وقد دل على ذلك القرآن في مواضع كما ذلك مذكور في مواضعه والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة متواترة في الصحاح والسنن والمسانيد).

وفي نظم المتناثر في الحديث المتواتر للكتاني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ص ٢٣٨، نقل عن جماعة من أهل العلم أن أحاديث الرؤية متواترة.

وقد قال الشيخ التاودي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى^(١):

مما تواتر حديثٌ من كذبٍ ومَن بنى لله بيتاً واحتسبَ
ورؤيةً شفاعَةً والحوُصُ ومسحُ خفين وهاذي بعضُ

(١) ينظر: نظم المتناثر للكتاني ص ١٨.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في حادي الأرواح ص ٢٨٥ عن رؤية المؤمنين ربهم جل وعلا في الجنة: (اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون).

الأدلة على إثبات رؤية الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ أي وجوه يومئذ أي يوم القيامة ناصرة، أي حسنة مشرقة، إلى ربها ناظرة، أي ترى ربها عيانا.

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ والحسنى هي الجنة، والزيادة هي رؤية الله تعالى.

فَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّجَلَّ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] رواه مسلم ١٨١.

وقال سبحانه: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

قال ابن كثير في تفسيره ٤٠٧/٧: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُوسُف: ٢٦] وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ الرُّومِيِّ: أَنَّهَا النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ).

وقال عَزَّجَلَّ عن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾

قال ابن القيم في حادي الأرواح ص ٢٩٢: (وجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه، فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضا محجوبين عنه، وقد احتج بهذه

الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة) ثم نقل عن الإمام الشافعي أنه قال: (لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضي).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّاتٍ مِنْ فَضَّةٍ أُنِيتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءَ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ» رواه مسلم ١٨٠.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُصَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُصَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوها، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ...» رواه البخاري ٧٤٣٧، ومسلم ١٨٢.

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبُّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُصَامُونَ^(١) فِي رُؤْيِيهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ،

(١) (لا تضامون) يجوز ضم التاء وفتحها، وهو بتشديد الميم من الضم، أي لا ينضم بعضكم إلى بعض ولا يقول: أرنيه. بل كل ينفرد برؤيته، ورؤي بتشديد الميم من الضم، وهو الظلم، يعني لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضكم دون بعض، بل تستون كلكم في رؤيته تعالى (فإن استطعتم) جزاء هذا الشرط ساقط هنا، تقديره: فافعلوا. كما جاء مصرحاً به في رواية البخاري.

وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» - يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجَرَ -، ثُمَّ قرأ جريراً ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] رواه البخاري ٥٧٣، ومسلم ٦٣٣.

والمعنى: أنكم سترون ربكم جل وعلا رؤية واضحة جلية لا ترتابون فيها، كما ترون هذا القمر رؤية واضحة.

المسألة الثانية: نزول الله جل وعلا إلى السماء الدنيا:

فأهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى صفة النزول إلى السماء الدنيا، وهي أقرب السماوات إلى الأرض، كما دلت الأحاديث على إثبات هذه الصفة، من غير تأويل ولا تكيف، بل ينزل نزولا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته، لا يماثل نزول المخلوق.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» رواه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

قال شيخ الإسلام في شرح حديث النزول ص ٥ عن هذا الحديث: (قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ، واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول).

وقال شمس الدين محمد بن عبد الهادي في الصارم المنكي ص ٢٢٩: (وأعلم أن السلف الصالح ومن سلك سبيلهم من الخلف متفقون على إثبات نزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، وكذلك هم مجمعون على إثبات الإتيان والمجيء، وسائر ما ورد من الصفات في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكيف ولا تمثيل، ولم يثبت عن أحد من

السلف أنه تأول شيئاً من ذلك، وأما المعتزلة والجهمية فإنهم يردُّون ذلك ولا يقبلونه، وحديث النزول متواتر عن رسول الله ﷺ).

وذكر الكتاني في نظم المتناثر ص ١٧٨ أن حديث النزول من الأحاديث المتواترة، ونقل ذلك عن جماعة من أهل العلم.

وقوله: (وإلى السماء بغير كيف ينزل) تقدم معنا في الدرس الأول، أن صفات الله تعالى لها كيفية، لكن هذه الكيفية مجهولة لنا؛ لأن الشيء إنما تُعلم كفيته بمشاهدته، أو مشاهدة نظيره، أو خبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق غير موجودة في صفات الله، وبهذا عُرف أن قول السلف: «بلا كيف». معناه بلا تكييف، لم يريدوا نفي الكيفية مطلقاً، لأن هذا تعطيل محض^(١).

وفي قوله ﷺ في حديث النزول: (ينزل ربنا) دليل على إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى.

قال الناظم:

وأُقِرَّ بالميزان والحوض الذي أرجو بآني منه رِيًّا أَنَهْل

في هذا البيت مسألتان من مسائل العقيدة:

المسألة الأولى: الميزان:

الميزان في الشرع: هو ما ينصبه الله تعالى يوم القيامة لوزن أعمال العباد إظهاراً لكمال عدله.

وقد ورد ذكره في عدة آيات منها:

قوله تعالى: ﴿وَالْوِزْنُ يُوَمِّدُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(١) ينظر: تلخيص الحموية للشيخ ابن عثيمين ص ٣٧.

* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ..﴾

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ..﴾

وفي الأحاديث ورد ذكر الميزان، منها:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرْ وَزَنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتَوَضَّعُ السَّجَلَاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» رواه الترمذي ٢٦٣٩، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ». وحسنه السخاوي في رسالته عن الميزان المنشورة في مجلة البحوث الإسلامية ٥٦ / ١٦١.

وقال الألباني في السلسلة الصحيحة تحت رقم ١٣٥: (وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قال).

وفي حديث البطاقة الدليل على أن الميزان له كفتان.

ومن الأدلة على إثبات الميزان قول النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» متفق عليه.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سَوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّ تَضَحِكُونَ؟ قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ. فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ) رواه الإمام أحمد برقم (٣٩٩١) وحسنه الألباني في التعليق على العقيدة الطحاوية ص ٤١٨.

وقال النبي ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ..» رواه مسلم.

وعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسَّعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمَوْسَى، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَنْ تَجِيزُ عَلَيَّ هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ» رواه الحاكم ٨٧٣٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وذكره الألباني في الصحيحة (٩٤١) وقال: ... ورواه الآجري في الشريعة موقوفا على سلمان وإسناده صحيح وله حكم الرفع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي.

وقال السخاوي في رسالته عن الميزان المنشورة في مجلة البحوث الإسلامية ٥٦ / ١٦٠: وحكمه الرفع، إذ لا مجال للرأي فيه.

وقال السفاريني في لوايح الأنوار البهية عن الميزان ٢ / ١٨٥: (وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه)

الخلاف في الموزون:

أي ما الذي يوضع في الميزان يوم القيامة؟

فيه أقوال لأهل العلم:

١- أن الذي يوزن الأعمال:

لحديث: «والحمد لله تملأ الميزان ..»

وروى أحمد برقم (١٥٦٦٢) ش عن أبي سلام، عن مولى رسول الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «بَخْ بَخْ، لَخَمْسُ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ». وصححه إسناده الألباني في الصحيحة ١٢٠٤.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء» رواه الترمذي برقم (٢٠٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني.

٢- أن الذي يوزن الصحف التي فيها الأعمال:

لحديث البطاقة المتقدم.

٣- أن الذي يوزن هو العامل نفسه:

لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» متفق عليه.

ولحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق وفيه أنه ﷺ قال عن ساقيه: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»

قال ابن كثير في التفسير: (وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها).

المسألة الثانية: الحوض:

الحوض: هو مجمع الماء.

والمراد بالحوض أي حوض النبي ﷺ الذي يكون يوم القيامة.

فمن أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بالحوض، فالرسول ﷺ له حوض، وكل نبي من الأنبياء عليهم السلام له حوض؛ لأن الناس يصيبهم عطش شديد يوم القيامة يحتاجون معه إلى الماء، وحوض نبينا ﷺ هو أعظم الحياض طوله شهر وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وآنيته عدد نجوم السماء من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا، نسأل الله تعالى من فضله.

وقد حكى أبو العباس القرطبي في المفهم ٦ / ٩٠ إجماع السلف على إثبات الحوض والإيمان به، وأنه أنكره بعض الطوائف من المبتدعة.

وأحاديث الحوض بلغت حد التواتر:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٥: (والأحاديث في ذمهم [يعني الخوارج] والأمر بقتالهم كثيرة جدا، وهي متواترة عند أهل الحديث، مثل أحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنته وأحاديث الشفاعة والحوض).

ومن الأحاديث الواردة في الحوض:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «.. فَإِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ». رواه البخاري ٣١٦٣، ومسلم ١٨٤٥.

ومعنى (أثرة): أي يُفَضَّل عليكم غيركم في الأموال.

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا..» متفق عليه.

ومعنى: (فرطكم على الحوض) أي سابقكم إليه كالمهيئ له.

وروى أبو داود برقم (٤٧٤٩) عن عبيد الله بن زياد أنه بعث لأبي برزة رضي الله عنه فقال: .. إنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه شيئاً؟ فقال له أبو برزة: نعم، لا مرة ولا ثنتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمسا، فمن كذب به فلا سقاه الله منه، ثم خرج مغضبا. وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

صفة الحوض:

جاء في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَأْوُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأْ أَبَدًا» متفق عليه.

كيزانه: الكيزان جمع كوز، وهو الكأس.

وفي حديث حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَذَكَرَ الْحَوْضَ فَقَالَ «كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ» متفق عليه.

الذين يذاون عن الحوض:

جاء في حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِعَدْلِكَ، وَاللَّهِ مَا بَرَّحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ».

فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ (رَاوِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ أَسْمَاءَ) يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجَعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا. متفق عليه.

وروى البخاري برقم ٦٥٨٦ عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَرُدُّ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيَحْلَتُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى».

ومعنى (فَيَحْلَتُونَ عَنْهُ) أَي يُطْرَدُونَ عَنْهُ.

قال الناظم:

وكذا الصراط يُمَدُّ فوق جهنم فمسلم^(١) ناجٍ وآخر مهمل

الصراط في اللغة: الطريق قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ يعني بكل طريق.

والمراد بالصراط يوم القيامة هو الجسر الممدود على متن جهنم. فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالصراط الذي ينصب على متن جهنم إذا انتهى إليه الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف.

وقد دلَّ على ثبوته عدة أحاديث، منها:

ما روى مسلم برقم (٣١٥) أَنَّ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر...».

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «... ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ

(١) في بعض النسخ: (فموحد)

فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ قَالَ مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ
خَطَاطِيفٌ وَكَالَالِيبِ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا
السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ
فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ
سَحْبًا...» رواه البخاري برقم (٧٤٣٩)

ومعنى مدحضة: من دحضت رجله إذا زلقت. ومعنى مزلة: من زلت
القدم إذا سقطت.

والكالاليب جمع كلوب: حديدة معطوفة الراس يعلق عليها اللحم.
والخطاطيف جمع خطاف وهو الحديدة المعوجة كالكلوب يُختطف بها
الشيء.

والحسكة: هي الشوكة الصلبة. مفلطحة: أي عريضة. عُقِيفَاءُ: معوجة.
والسعدان: نبات ذو شوك.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «.. وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ وَبِهِ
كَالَالِيبِ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ
قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ فَتَخْطَفُ
النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ ثُمَّ يَنْجُو...» رواه
البخاري (٦٥٧٣)

ومعنى المخردل: أن كالاليب النار تقطعه فيهوى في النار، وقيل: المخردل
المصروع.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... فَيُعْطُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ قَالَ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً، وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمَ قَدَمُهُ، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ، فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضُ مَزَلَّةٍ، فَيَقَالُ: انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكُوكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، وَيَرْمُلُ رَمَلًا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ قَالَ: يَجْرُ يَدًا وَيُعَلِّقُ يَدًا وَيَجْرُ رِجْلًا وَيُعَلِّقُ رِجْلًا وَتَضْرِبُ جَوَانِبُهُ النَّارُ، قَالَ: فَيَخْلُصُونَ فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي أَرَانَاكَ، لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا» رواه الحاكم ٣٤٢٤ و٨٧٥١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ. وصححه الألباني في التعليق على العقيدة الطحاوية ص ٤١٥.

وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُوزَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَوْ وَزَنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسَّعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزَنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدُنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. وَيُوزَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمَوْسَى، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَنْ تَجِيزُ عَلَى هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدُنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ» رواه الحاكم ٨٧٣٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وَرَوَى مُسْلِمٌ ١٩٥ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحَدِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ فَتَقُومَانِ جَنْبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ

أولكم كالبرق، قال: قلت بأبي أنت وأمي: أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرَّ الريح، ثم كمر الطير وشدَّ الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبىكم قائم على الصراط يقول: رب سلِّم سلِّم. حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلّقة، مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً.

فالحاصل أن للصراط صفات، وهي:

١ - مدحضة مزلة.

٢ - له حافتان.

٣ - عليه كلاليب.

٤ - أنه كحد السيف.

قال الناظم:

والنار يصلها الشقي بحكمة وكذا التقى إلى الجنان سيدخل

أي والنار يدخلها ويعذب فيها الشقي، الذي أساء العمل، فيدخلها بحكمة الله عَزَّوَجَلَّ، والتقى الذي عمل بطاعة الله تعالى، واجتنب معاصيه يدخل الجنة برحمة أرحم الراحمين، فهو جل وعلا يعذب الأشقياء في النار بحكمته وعدله، ويُنعم الأتقياء برحمته وفضله، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالجنة وأنها دار جزاء المتقين، وبالنار وأنها دار جزاء الكافرين، ومن شاء الله أن يعذب فيها من عصاة الموحدين.

وأُنهما مخلوقتان، يعني أن خلقهما قد تمَّ، وليس خلقهما موقوفاً على قيام الساعة، فهما مخلوقتان قبل خلق آدم وخلق المكلفين، يدل له قوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ والألف واللام في الجنة للعهد، يعني الجنة المعهودة التي هي دار النعيم.

ومن لم يؤمن بالجنة والنار فهو كافر؛ لأنه مكذب للكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في مفتاح دار السعادة ١ / ٤٥: (قد اتفق أهل السنة والجماعة على أَنَّ الجنة والنار مخلوقتان، وقد تواترت الأحاديثُ عن النبي ﷺ بذلك) ثم ذكر عدة أحاديث تدل على ذلك، منها:

ما في «الصحيحين» عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ - قال: «اِخْتَصِمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضَعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ وَقَالَتِ النَّارُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ؟ فَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَعْدَبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ» الحديث.

ومن الأدلة على أنهما مخلوقتان قوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وفي النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ فكلمة (أعدت) دليل على أنهما موجودتان.

ثم قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة ١ / ٤٩: (وأما القول بأن الجنة

والنار لم تخلقا بعد، فهو قول أهل البدع من ضلال المعتزلة ومن قال بقولهم . . . وهذه الأحاديث وأمثالها تردُّ قولهم)

ومن أدلة وجوب الإيمان بالجنة والنار حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ أُمِّتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ» رواه البخاري ٣٤٣٥، ومسلم ٢٨.

قال الناظم:

ولكلٍ حيٍ عاقلٍ في قبره عملٌ يُقارنه هناك ويُسأل

أي أن كل مكلف إذا مات ودفن في قبره، فسوف يجد عاقبة عمله معه في قبره، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، ويُفتن في قبره فيُسأل من قبل الملكين: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وحينئذ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

والقبر أول منازل الآخرة للعبد بعد موته، فمن نجا منه فما بعده أيسر منه، ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه.

وكان عثمان رضي الله عنه إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِي حَتَّى يَبْلُغَ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذَكِّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَحُ مِنْهُ» رواه الترمذي ٢٣٠٨، وحسنه الألباني.

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر للكفرة

والعصاة، ونعيمه للمؤمنين التقاة، فيجب على العبد اعتقاد ذلك والايان به، ولا يخوض في كيفية ذلك واستبعاده بعقله، فإن العقل لا مدخل له في أمور الغيب، والواجب فيها التسليم لما جاء به الشرع، وإعادة الروح إلى الجسد في القبر، واتصالها به، ليس على الوجه المعهود لنا في الدنيا.

ومن أدلة عذاب القبر:

أنه قد جاء في كتاب الله تعالى ما يدل على تعذيب الكفار بعد خروج أرواحهم، ولا يكون ذلك إلا في البرزخ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾

وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الْآخِرَةِ﴾

فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ» قَالَ: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾» رواه البخاري ٤٦٩٩، ومسلم ٢٨٧١، واللفظ لمسلم.

وأخبر الله جل وعلا عن عذاب آل فرعون بقوله: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ فهم من بعد موتهم إلى يوم القيامة يُعْرَضُونَ على النار غدواً وعشيا -يعني أول النهار وآخره - وهذا عذاب لهم في قبورهم، وأما يوم القيامة فيدخلهم الله تعالى أشد العذاب.

وأحاديث عذاب القبر وفتنته متواترة عن رسول الله ﷺ، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى^(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير» ثم قال: «بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» متفق عليه، فالسعي بين الناس بالنميمة، وذلك بنقل الكلام بينهم على وجه الإفساد، وعدم الاستتار والتنزه من البول، هما من أسباب عذاب القبر.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» رواه البخاري ١٣٧٧، ومسلم ٥٨٨، واللفظ لمسلم.

(فتنة المحيا والممات) أي فتنة الحياة وهي ما يعرض للمرء مدة حياته من الافتنان بالدنيا وشهواتها، وفتنة الممات أي ما يفتن به بعد الموت.

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: «يَهُودٌ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا» رواه مسلم ٢٨٦٩.

وَعَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» قَالَ: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟» قَالَ: «فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ،

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٥: (والأحاديث في ذمهم [يعني الخوارج] والأمر بقتالهم كثيرة جدا، وهي متواترة عند أهل الحديث، مثل أحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنته وأحاديث الشفاعة والحوض).

فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» قَالَ: «فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ» قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «فِيرَاهُمَا جَمِيعًا» قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا^(١)، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. رواه مسلم ٢٨٧٠.

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرِ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِسْكٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُسَبِّحُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

(١) الخضر ضبط بفتح الخاء وكسر الضاد، ومعناه: يملأ نعمًا غضة ناعمة، وأصله من خضرة الشجرة.

قَالَ: «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عَلِمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطَيْبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوَعِّدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيُجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: آتَيْتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتَفَرِّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ^(١) مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ^(٢)، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بَاقٍ بِأَفْجَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُتَهَيَّ بِهَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يَفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]

(١) السَّفُود؛ ضبط بفتح السين، وتشديد الفاء: حديدة يُشَوَّى بها اللحم.

(٢) الْمُسُوح، بضمّتين، جمع مِسْح، بكسر الميم: كساء معروف، وقال النووي: هو ثوب من الشعر غليظ معروف.

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: «اَكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتْنِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ» رواه الإمام أحمد ١٨٥٣٤، وهذا لفظه، وقال محققو المسند: إسناده صحيح. ورواه أبو داود ٤٧٥٣، وصححه الألباني.

وحديث البراء رضي الله عنه صححه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الروح ص ٤٦.

وثبت أن اسم الملكين اللذين يسألان صاحب القبر هما المنكر والنكير. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ

كَنَوَمَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُتَأَفِّقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَذْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيَقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّيْمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَمِمْ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَرَأُ فِيهَا مُعَدَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ» رواه الترمذي ١٠٧١، وحسنه الألباني.

قال الناظم:

هذا اعتقاد الشافعي ومالك وأبي حنيفة ثم أحمد يُنقل

أي ما تقدم في هذه المنظومة هو اعتقاد الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب الفقهية السُّنَّية، وهو المنقول عنهم، نقله أئمة هذا الشأن، الذين دونوا عقائد السلف.

وقد ذكرهم المؤلف من غير ترتيب للمتقدم منهم والمتأخر؛ لضرورة النظم، وهم بحسب تواريخ وفياتهم:

الأول: الإمام أبو حنيفة^(١): هو النعمان بن ثابت بن زُوَطَى التيمي، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة. الإمام، فقيه الملة، عالم العراق.

ولد سنة ثمانين على الصحيح، في حياة صغار الصحابة.

ورأى أنس بن مالك لما قَدِمَ عليهم الكوفة، ولم يثبت له حرف عن أحد منهم.

وروى عن: عطاء بن أبي رباح، وهو أكبر شيخ له. ونافع مولى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعبد الله بن دينار، وحماد بن أبي سليمان، وبه تفقه، وغيرهم كثير.

(١) تنظر ترجمته في الجواهر المضوية في طبقات الحنفية للقرشي ٢٦/١، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٩٠/٦.

وذكر الذهبي أنه روى عن الإمام مالك بن أنس وهو أصغر منه.
وعُني بطلب الآثار، وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي
وغوامضه، فإليه المنتهى، والناس عليه عيال في ذلك.

وأجمعوا على أنه مات سنة خمسين ومائة ببغداد، وله سبعون سنة.

وروى عنه الجرم الغفير نحو أربعة آلاف نفس.

قال الشافعي: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلا لو
كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا، لقام بحجته.

عن القاضي أبي يوسف، قال: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة، إذ سمعت
رجلا يقول لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل. فقال أبو حنيفة: والله لا يتحدث
عني بما لم أفعل، فكان يحيي الليل صلاة، وتضرعا، ودعاء.

قال أبو حنيفة: رأيت رؤيا أفزعني، رأيت كأني أنبش قبر النبي ﷺ فأتيت
البصرة، فأمرت رجلا يسأل محمد بن سيرين. فسأله، فقال: هذا رجل ينبش
أخبار رسول الله ﷺ.

وقال عبد الله بن المبارك: لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان، كنت
كسائر الناس.

وعن أبي حنيفة، أنه قال: ما جاء عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين،
وما جاء عن الصحابة، اخترنا، وما كان من غير ذلك، فهم رجال ونحن رجال.

دعا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء، فامتنع، فقال: أترغب عما نحن فيه؟
فقال: لا أصلح. قال: كذبت. قال: فقد حكم أمير المؤمنين علي أني لا أصلح،
فإن كنت كاذبا، فلا أصلح، وإن كنت صادقا، فقد أخبرتك أني لا أصلح. فحبسه.

وقال يحيى بن سعيد القطان: لا نكذب الله، ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله.

وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

قال الذهبي: الإمامة في الفقه ودقائقه مسلّمة إلى هذا الإمام، وهذا أمر لا شك فيه.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى رحمة واسعة.

الثاني: الإمام مالك^(١): هو أبو عبد الله مالك بن أنس، بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي، ولد على الأشهر سنة ٩٣ هـ. جدّه أبو عامر صحابي جليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهد المغازي كلها مع النبي ﷺ خلا بدراناً.

وهو إمام دار الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والعالم الذي انتشر علمه في الأمصار، واشتهر فضله في الأقطار، ضربت له أكباد الإبل وارتحل الناس إليه من كل فج.

قال الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مالك أستاذي وعنه أخذت العلم، وجعلت مالكا بيني وبين الله حجة، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم لحفظه وإتقانه وصيانتة.

ألف كتاب الموطأ، وهو من أعظم كتب الإسلام.

قال بعضهم: إنما سَمِيَ كتابه الموطأ لأنه عرضه على بضعة عشر تابعياً وكلهم واطئوه على صحته.

(١) تنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ٨٠ / ١ - ٨٣.

وروى أبو نعيم في الحلية عن مالك بن أنس أنه قال: شاورني هارون الرشيد أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه فقلت: لا تفعل فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلاد وكل مصيب. فقال: وفقك الله يا أبا عبد الله. وروى ابن سعد في الطبقات عن مالك قال: لما حج المنصور قال: عزمت أن أمر بكتبك هذه التي وضعتها أن تنسخ ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منه نسخة وأمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوا إلى غيرها. فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت إليهم أفاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ودانوا به فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم.

وكان إذا أراد أن يحدث تواضعاً وجلس على فراشه وسرح لحيته وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة، ثم حدث، فقليل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث به إلا متمكناً من طهارة.

وكان مهاباً جداً إذا أجاب في مسألة لا يمكن أن يقال له من أين، وكان الثوري إذا جلس بين يدي مالك ونظر إلى إجلال الناس له وإجلال مالك للعلم أنشد:

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

قيل له: كيف أصبحت؟ قال: في عمر ينقص وذنوب تزيد.

وروى عنه رضي الله عنه أنه قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، فقد أدركت سبعين ممن يقول: قال فلان قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين، وأشار إلى أساطين مسجد رسول الله ﷺ فما أخذت عنهم شيئاً،

وإن أحدهم لو أوّتمن على بيت مال لكان أميناً، لم يكونوا من هذا الشأن، ويقدم علينا ابن شهاب فكان نردحم على بابه.

أخذ عن أكثر من تسعمائة شيخ منهم ابن شهاب الزهري والعلاء بن عبد الرحمن وحميد الطويل ومحمد بن المنكدر وزيد بن أسلم ووهب بن كيسان وأبو عبد الله نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما، وغيرهم كثير.

انتصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة واحتاج إليه شيوخه، وروى عنه الكثير ممن تقدمه أو عاصره أو تأخر عنه.

والرواة عنه كثيرون جداً بحيث لا يعرف لأحد من الأئمة رواية كرواته ألف الخطيب كتاباً فيهم وذكر القاضي عياض أنه ألف في المشاهير منهم كتاباً ذكر فيه نيفاً على الألف والثلاثمائة، وقال الحنفية: أجل من روى عن مالك أبو حنيفة، وقال ابن الأثير: كفى مالكا شرفاً أن الشافعي تلميذه وكفى الشافعي شرفاً أن مالكا شيخه، وقال الأمير في ثبته: رواية أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة.

وممن أخذ عن مالك عبد الله بن المبارك وأبو حازم سلمة بن دينار الأعرج والدراوردي وعبد الرحمن بن مهدي والمغيرة بن عبد الرحمن ومحمد بن دينار والقعني ومطرف بن سليمان وعبد الملك بن الماجشون وعبد الله بن نافع الصائغ وأسد بن الفرات وعبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب وأشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن عبد الحكم ويحيى بن يحيى القرطبي، وغيرهم كثير.

أفرد ترجمته جماعة من المتقدمين والمتأخرين بالتأليف.

وتوفي بالمدينة النبوية سنة ١٧٩ هـ رحمة الله تعالى رحمة واسعة.

الثالث: الإمام الشافعي^(١): هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي المطلبي، الإمام العالم، ولد بغزة، وقيل: بعسقلان، سنة خمسين ومائة، ومات أبوه وهو صغير، فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين، لثلا يضيع نسبه، فنشأ بها، وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ موطأ الإمام مالك وهو ابن عشر، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل: ابن ثمانى عشرة سنة. أذن له شيخه مسلم بن خالد الزنجي.

وعُني باللغة والشعر، وأقام في هذيل نحواً من عشر سنين، وقيل أكثر من ذلك، فتعلم منهم لغات العرب وفصاحتها، وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة، وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من حفظه فأعجبه قراءته وهمته، وأخذ عنه علم الحجازيين بعد أخذه، عن مسلم بن خالد الزنجي.

من تلاميذه الإمام أحمد بن حنبل، والبويطي، والمزني، والربيع بن سليمان وغيرهم كثير.

انتقل آخر حياته إلى مصر فأقام بها إلى أن مات فيها سنة أربع ومائتين، وصنف بها كتابه الأم، وهو من كتبه الجديدة؛ لأنها من رواية الربيع بن سليمان وهو مصري.

وقد أثنى على الشافعي غير واحد من كبار الأئمة، منهم عبد الرحمن بن مهدي وسأله أن يكتب له كتاباً في الأصول فكتب له الرسالة، ويحيى بن أكثم القاضي، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن الحسن، وغيرهم.

وكان أحمد بن حنبل يدعو له في صلاته نحواً من أربعين سنة، وكان أحمد يقول في الحديث الذي رواه أبو داود، من طريق عبد الله بن وهب، عن

(١) تنظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ١٤ / ١٣٢ - ١٤٠.

سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» قال: فعمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، والشافعي على رأس المائة الثانية.

وقال أبو ثور: ما رأينا مثل الشافعي، ولا رأى هو مثل نفسه.

وقد كان رَحِمَهُ اللهُ مَنْ أَعْلَمَ النَّاسَ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَأَشَدَّ النَّاسِ اتِّزَاعًا لِلدَّلَائِلِ مِنْهُمَا، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ قَصْدًا وَإِخْلَاصًا، كَانَ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنْ النَّاسَ تَعْلَمُوا هَذَا الْعِلْمَ، وَلَا يَنْسَبُ إِلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ أَبَدًا، فَأَوْجِرُ عَلَيْهِ وَلَا يَحْمِدُونِي.

وقد قال غير واحد عنه: إذا صح عندكم الحديث عن رسول الله ﷺ، فقولوا به ودعوا قولِي فَإِنِّي أَقُولُ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوهُ مِنِّي. وفي رواية: فلا تقلدوني. وفي رواية: فلا تلتفتوا إلى قولِي. وفي رواية: فاضربوا بقولِي عُرْضَ الْحَائِطِ، فلا قول لي مع رسول الله ﷺ.

وقال: لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء. - يعني البدع - وفي رواية: خير له من أن يلقاه بعلم الكلام. وقال أيضا: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في القبائل وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام.

وقال البويطي: سمعت الشافعي يقول: عليكم بأصحاب الحديث؛ فإنهم أكثر الناس صوابا.

وكان يقول: إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث، فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، جزاهم الله خيرا، حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل.

ومن شعره في هذا المعنى قوله:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَا شَيْطَانٍ

وكان يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق، فهو كافر.

وقد روى عنه الربيع وغير واحد من رءوس أصحابه ما يدل على أنه كان يمر بآيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف، على طريقة السلف.

وقد كانت وفاته بمصر يوم الخميس، وقيل: يوم الجمعة، في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، عن أربع وخمسين سنة. وكان أبيض جميلاً طويلاً مهيباً، يخضب بالحناء مخالفة للشيعة، رَحِمَهُ اللَّهُ وأكرم مثواه، وجعل الجنة مأواه.

الرابع: الإمام أحمد بن حنبل: هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ينتهي نسبه إلى معد بن عدنان.
إمام أهل السنة والجماعة بلا منازع.

ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ، وتوفي بها سنة ٢٤١هـ، عن عمر بلغ سبعة وسبعين عاماً.

وكنيته أبو عبد الله مع أن ابنه الأكبر صالح وابنه الثاني عبد الله، فلعله كان يتكنى بأبي عبد الله قبل زواجه فغلبت عليه هذه الكنية، وذلك أنه لم يتزوج إلا بعد الأربعين من عمره.

بدت على الإمام أحمد علامات النجاسة منذ صغره، واشتهر بالشغف في

التعلم والرغبة في العلم، قال الحافظ الهيثم بن جميل الأنطاكي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه).

ومن تواضعه أنه لم يكن يفخر بعروبتة، وقد سئل مرة عن ذلك وهل هو عربي؟ فقال: نحن قوم مساكين.

وكان رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى زاهداً في الدنيا لا يجري لها ذكر على لسانه، وكان عالماً عاملاً مداوماً على العبادة وكان لا يُظهر النسك.

قال تلميذه أبو داود: لقيت مائتين من مشايخ العلم فما رأيت مثل أحمد بن حنبل لم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا فإذا ذكر العلم تكلم.

وكان يقول: ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به حتى مرّ بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت.

وكان رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يكره الشهرة ويفرّ منها، وإذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد.

قال عنه عيسى الرملي: «عن الدنيا ما كان أصبره وبالماضين ما كان أشبهه وبالصالحين ما كان ألحقه عَرَضَتْ له الدنيا فأبأها والبدع فنفاها».

وكان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مهيباً في ذات الله تعالى حتى إن علماء زمانه كانوا يجلسونه ويهابونه.

وكان متعففاً فلا يقبل أعطيات أحد، يقول الرمادي سمعت عبد الرزاق وذكر أحمد بن حنبل ففاضت عيناه، وقال: بلغني أن نفقته نفدت فعرضت عليه عشرة دنانير ليأخذها، فقال يا أبا بكر لو قبلت من أحد شيئاً قبلت منك.

إلا أنه كان يقبل الهدية ويثيب عليها بأكثر منها. وكان يتقوّت من غلة عقار كان له ببغداد، وربما تقوّت من عمل يده.

ورحل رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى في طلب العلم إلى بلدان كثيرة منها الكوفة والبصرة والحرمين وصنعاء والشام.

وكان ولوعاً بالعلم حتى بعد إمامته فيه فقد روى صالح قال: رأى رجلاً مع أبي محبرة، فقال له يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين فقال: «من المحبرة إلى المقبرة».

وكان له شيوخ كثر فقد روى في المسند عما يزيد على مائتين وثمانين شيخاً، وكان شيخه الذي اختص به ولازمه الحافظ هشيم الواسطي إذ لازمه قريباً من أربع سنين.

وأما تلاميذه والآخذون عنه فقد جاوزوا الخمسمائة نفس، أشهرهم:

- أحمد بن حميد أبو طالب المشكاني المتوفى سنة ٢٤٤هـ من رواة المسائل.

- مهنا بن يحيى السلمي المتوفى سنة ٢٤٨هـ من رواة المسائل.

- إبراهيم بن هانئ النيسابوري المتوفى سنة ٢٦٥هـ من رواة المسائل.

- ابنه صالح المتوفى ٢٦٦هـ. وابنه عبد الله المتوفى سنة ٢٩٠هـ.

- حنبل بن إسحاق بن حنبل المتوفى سنة ٢٧٣هـ. ابن عم الإمام أحمد.

- أبو داود سليمان الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ.

- حرب الكرمانى المتوفى سنة ٢٨٠هـ. رحمهم الله تعالى.

وأما كتبه فقد بلغت نحو الثلاثين كتاباً أعظمها المسند المشهور وفضائل

الصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والعلل ومعرفة الرجال والزهد والورع والرد على الزنادقة
والجهمية وغيرها.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

قال الناظم:

فإن اتبعت سبيلهم فموفق وإن ابتدعت فما عليك معول

أي فإن اتبعت أيها السائل سبيل هؤلاء الأئمة، وسرت على طريقتهم في
الاعتقاد والعمل فأنت موفق، أي وفقك الله وهداك لاتباع الكتاب والسنة على
فهم سلف الأمة.

وإن ابتدعت في دين الله عَرَجَلًا، وخالفت ما دلت عليه النصوص الشرعية
على ما فهمه السلف، فما عليه معول، أي لا يعول عليك في الاعتقاد ولا
يلتفت إليك.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإسلام والسنة، وأن يعيذنا من الشرك
والبدعة، ومن كل ما يغضبه.

والحمد لله رب العالمين، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا
محمد، وآله وصحبه أجمعين.

